ظاهرة اللحن عند العرب

الطاهر نعيجة ❖ جامعة 8 ماي 1945 ❖ قالمة ❖ الجزائر

ملخص

إنَّ ما يعرف حديثا بالأخطاء الشائعة أو التّصحيح اللغوي، أو الصواب اللغوي أو حركة التنقية اللغوية يطلق عليها القدماء اسم "اللحن"، ولا شكّ أن كثرة الأسماء تدل على شرف المُسَمى، ولذلك فإن البحث في تراث اللحن عند القدماء الذي هدفه الإشارة إلى الألفاظ والعبارات التي وردت على ألسنة العوام محرفة عما هو فصيح وتتطلب البدء به والإحاطة بجوانب هذا التراث وهو ما يؤكده أحد المؤلفين بقوله :"إن أول ما يجب على طالب اللغة تصحيح الألفاظ العربية المستعملة التي حرّفتها العامّة عن موضعها، وتكلمت بها على غير ما تكلمت بها العرب في ناديها ومجتمعها فإذا صححها وأزال عنها التحريف ونفى عنها التصحيف، كان ما وراء ذلك عليه أقرب وأسهل للطلب.

الكلمات المفتاحية: اللحن، التأليف في اللحن، منهج مصنفات اللحن، مقياس اللحن، مظاهر اللحن.

Abstract

What is currently known as common mistakes, linguistic correction, linguistic correctness or the movement of language purification had the ancient name of "melody". Undoubtedly, the multitude of names indicates the honour attributed to the concept. Thus, the search in the heritage of melody among the ancients, whose purpose is to refer to the words and phrases that have appeared distorted by the public from what is Fasssih (fluent), is worth engaging in order to get acquainted with this heritage. This is confirmed by one of the authors who says: "The first thing that the student of language must do is correct the Arabic words that have been distorted by the public (common people), and have been used in ways other than the ones Arabs used in their clubs and community. If corrected and any distortion removed from them, the effect would be closer and easier to demand.

Keywords: solecism, composition in solecism, syllabus solecism,

مفهوم اللحن

جاء في المعجم الوسيط أن مادة (لحن) تأتي بمعاني عدة: "لحن في كلامه لحنا، أخطأ الإعراب، وخالف وجه الصواب في النحو، فهو لاحن ولحان، ولحن الرجل :تكلم بلغته، ويقال لحن بلحن بني فلان: تكلم بلغتهم ولحن له لحن: قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره فهو لاحن...، ولحن إليه: نواه وقصده ومال إليه، ولحن القول عنه: فهمه"[1] ، وجاء في اللسان: لحن له يلحن لحنا: قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره... ولحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما لا يفطن له غيره... واللحن أيضا بالتحريك أي اللغة...قال الزمخشري: "تعلموا اللحن أي الخطأ في الكلام ليحترزوا منه..."[2]

فاللحن من الناحية اللغوية يأتي على ستة معاني: **أولها:** الخطأ في الإعراب الذي شاهده قول الحكم بن عبدل الأسدي:

ليت الأمير أطاعني فشفيته من كل من يكفي القصيد ويلحن

وثانيها: اللغة، التي شاهده قول عمر ابن الخطاب . ض : " تعلّموا السنّة والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن"[3].

وثالثها: الغناء وترجيع الصوت والتطريب الذي شاهده قول يزيد بن النعمان:

لقد تركتُ فؤادك مستجنا مطوّقة على فننٍ تغـني

يميل بها وتركبــه بلحــن إذا ما عنّ للمخزون أنَّا

ورابعها: الفطنة الذي شهده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّكم لتختصمون إليّ، وعسى أن يكون بعضكم ألحن لحجته من الآخر، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار»[4].

وخامسها: التعريض والإيماء الذي شاهده قول القتّال الكلابي:

ولقد لحنت لكم لكي ما فتفقهوا ووحيتُ وحيًا ليس بالمرتاب[5]

---

[1] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط2، 1990، مادة (لحن).

[2]- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق أحمد عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط&، 2003، مادة (لحن).

[3]- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناخي، دار الفكر، بيروت، 1979، ج4، ص241.

[4] - المصدر نفسه، ص241

وسادسها: المعنى والفحوى الذي شاهده قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[6]...[7].

فهذه المعاني وغيرها تندرج تحت مادة (لحن)، وربما استعملت في عصور متفاوتة خاضعة في ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات في كُل اللغات، أو استعملت بمعانٍ متعددة في عصر واحد بعد أن تجمعت حول الكلمة والذي يعيّن أحد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذي وردت فيه.

أما اصطلاحا فاللحن الذي نقصده هنا هو "خروج الكلام عن مجرى الصحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولاً بين العامة والناس ويتسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة"[8]، أو هو: "إصدار الأحكام على الاستعمالات اللغوية بهدف المحافظة على نقاء اللغة وحمايتها من سوء الاستعمال"[9].

فاللحن هو الخروج عن السُّنن المألوفة في اللغة العربيّة عند اللغويين القدماء إذ وصفوه بأنّه عيبٌ وقبحٌ ينبغي عدم الوقوع فيهما، وهذا ما دعا إلى نشوء مبدأ تنقية اللغة العربيّة.

مصطلحات المخالفات اللغوية الأخرى:

أ. الخطأ: يستعمل الصواب في مقابلة الخطأ، وهما يستعملان في الفروع والمجتهدات في حين يستعمل الحق والباطل في المعتقدات، فقد جاء في اللسان: "الخطأ ضد الصواب والخطأ ما لم يتعمد"[10]. ولعلنا نلحظ أن الخطأ إصابة خلاف ما يقصد وقد يكون في القول والفعل، وأن اللحن هو صرف الكلام عن جهته فلا يكون إلاَّ في القول، فيقال: لحن في كلامه، ولا يقال: لحن ففعله.

---

[5] - القتال الكلابي: الديون، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د ط، 1989، ص61.

[6] - قرآن كريم، سورة محمد، الآية: 30.

[7] - أنظر هذه المعاني في: . عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص9.

- عبد العزيز مطر: لحن العامة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م، ص19.
- عبد الفتاح سليم: اللحن في اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006، ص6.

[8] - محمد عيد: المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهر، ط2، 2006م، ص12.

[9] - رياض زكي قاسم: المعجم العربي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1980م، ص23.

[10] - ابن منظور: لسان العرب، مادة (خطأ).

ب. **الغلط:** هو أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه ويكون من غير تعمد، أو هو وضع الشيء في غير موضعه، وقال بعضهم: الغلط أن يسهى عن ترتيب الشيء وإحكامه، والخطأ أن يسهى عن فعله، أو أن يوقعه من غير قصد له ولكن لغيره.

ج . **الزلة أو العثرة والهفوة:** قال أبو هلال العسكري (ت 400ه) أن الزلق: "اللسان الذي لا يزال يسقط السقطةَ، ولا يريدها ولكن تجري على لسانه"[11]، وقد سُمى عبد القادر المغربي أحد كتبه (عثرات اللسان في اللغة) وقال إنه يريد بذلك الأغلاط اللغوية التي إنما يظهر خطؤها حين نطق الأفواه بها.

وقد عرف الدكتور إبراهيم أنيس (الزلة) بأنها انحراف العربي عن طرق أداء سليقته اللغوية مرجعا ذلك إلى أمر طارئ أو موقف رهيب أو ساعة غضب وانفعال[12].

وما يمكن قوله إنَ المصطلح الأنسب في هذه المخالفات اللغوية هو مصطلح (الخطأ) إذ أنّه يدّل على المخالفات اللغوية الأخرى بصورها وأنواعها كافة، وهو وحده الذي شاع في الدراسات اللغوية التطبيقية الحديثة، ثم هو يقابل المصطلح الفرنسي les erreurs والمصطلح الإنجليزي the errors، ومصطلح معظم اللغات العالمية الأخرى[13].

لحن العامة: لفظ العامّة على وزن "الفاعلة" من الفعل "عمّ" خلاف "الخاصّة" من الفعل "خصّ"، وسمّيت "عامّة" لأنّها تعمُّ الجميع، وقيل لكثرتهم وعموميتهم في البلاد، والجمع العوام، على وزن الفواعل، ومنه قولهم: "جاء القوم عامّة أي جميعهم"[14].

وكلمة العامّة في اصطلاح اللغويين هم فئات المجتمع المتعدد، أو هم معظم المجتمع وأغلبه ممن لم يتخصصوا بالبحث في اللغة، لكنهم مجموع المثقفين في المجتمع الذين يسمع لهم ويؤبه لكلامهم، وليس المقصود بالعامّة في هذه المصنفات هم الطُغام والحشوية والسفلة أو الطبق الدنيا من المجتمع، لأن هؤلاء لا ترصد لغتهم ولا يؤبه لكلامهم عند اللغويين[15].

---

[11] - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص67.

[12] - إبراهيم أنيس: محاضرات عن مستقبل اللغة العربية، طبعة القاهرة، 1960م، ص14.

[13] - محمد أبو الرب: الأخطاء اللغوية، دار وائل، عمان، ط1، 2005م، ص37.

[14] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ماد (عمم).

[15] - عبد العزيز الأهوازي: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامع الدول العربية، المجلد 3، سنة 1957م، ص8

ويرى أبو بكر الزبيدي أن المقصود بالعامة هم المثقفون الذين تسربت إليهم أخطاء من الدهماء[16]، وعندما نتصفح مؤلفات اللحن تجد أصحابها فريقين:

الأول: يمثل الكثرة من علماء العصور القديمة ألفوا كتبا بعنوان (لحن العامة) مثل: ما تلحن فيه العامة للكسائي (ت 189ه) . الهاء فيما تلحن فيه العامة للفراء (ت 207ه) . ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت208) . ما خالفت فيه العامة لغات العرب لأبي عبيد بن سلام (ت 224ه) . وما تلحن فيه العامة للباهلي (ت231ه)، ما تلحن فيه العامة للمازني (ت 248ه) . لحن العامة لأبي حاتم السجستاني (ت255ه)...إلخ.

الثاني: تناول الموضوع نفسه لكنهم اتجهوا إلى تسمية كتبهم بأسماء أخرى مثل: إصلاح المنطق لابن السكيت (ت244ه) . أدب الكاتب لابن قتيبة (ت 276ه) . الفصيح لثعلبي (ت 291ه) . تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصفلي (ت 501ه) . تقويم اللسان لابن الجوزي (ت 597ه) [17].

وقد ألف بعضهم في "لحن الخاصة" ممن تأثروا بالعامة منهم مثلا الحريري (ت 516ه) في كتابه " درة الغواص في أوهام الخواص" وخصص بعضهم أبوابا في كتبهم للحن الخاصة فالقراء والمحدثين والفقهاء فكان ابن مكي (ت 501ه) من السباقين إلى ذلك في كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان".

موقف السلف من اللحن: كان سلفنا الصالح يحرصون أشد الحرص على سلامة اللغة وإبعادها عن مواطن الانحراف والزلل، ويعّدون اللحن كبيرة تخدش مكانة اللاحن وسمعته، وخير شاهد على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أرشدوا أخاكم فقد ضلَ»[18]، قاله عندما لحن رجل بحضرته، واعتبر الخروج على القاعدة ومقارن اللحن ضلالا، وطلب ممن حوله من الصحابة أن يرشدوه إلى الطريق الصحيح.

- وهذا أبو بكر الصديق . ض . يقول:" لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن"[19].

---

[16] - أبو بكر الزبيدي: لحن العامة، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص8.

[17] - أحمد أبو سعد: معجم فصيح اللغة، دار العلم الملايين، بيروت، ط1، 1990م، ص5

[18] - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق، بيروت، 2003م، ص216.

[19] - المصدر نفسه، ص14

- وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ض . يقول لقوم استقبح رميهم: "ما أسوأ رميكم، فيقولون نحن قوم "متعلمين"، فيقول لحنكم أشد عليّ من فساد رميكم"[20].

ورُوي أنَ كاتب لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب . ض . :" من أبو موسى"، فكتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنهما:" إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك صوطًا وأعزله عن عملك"[21]. وقال عمر بن عبد العزيز. ض . : "إن الرجل لا يكلمني في الحاجة ليستوجبها فأرُده عنها وكأني أقضم حب الرُمان الحامضِ لِبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فأجيبه إليها إلتذاذًا لما أسمع من كلامه"، وقال رحمه الله:" أكاد أضرّس إذا سمعت اللحن"[22].

- وكان ابن عمر رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن[23].
- وقيل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ض . كان يضرب ولده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ[24].

ومن الشواهد على ازدراء القدماء بالذين يلحنون ما يروون:" أن رجلا من عليّة أهل الشام استأذن على عبد الملك بن مروان وبين يديه قومٌ يلعبون بالشطرنج فقال: يا غلام غطّها، فلما دخل الرجل فتكلّم فلحن، قال عبد الملك: يا غلام اكشف عنها الغطاء فليس للاحن حرمة"[25]. ويروى عن أبان بن عثمان أنه قال:" اللحن في الرجل السّريّ كالتغيير في الثوب الجديد"[26].

---

[20] - المصدر نفسه، ص 14.

[21] - الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ، دت، ج2، ص216

[22] - ابن الأنباري: الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسل التراث الغربي، الكويت، 1960م، ص245

[23] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ط3، 1410ه، ج1، ص89

[24] - أبو بكر الشنتريني: تنبيه الألباب، تحقيق معيض بن مساعد العوفي، دار المدني، جدة، ط1، 1410ه، ص94.

[25] - ابن الأنباري: الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة التراث العربي، الكويت، 1960، ص245

[26] - أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دت، ص13.

- وقال ابن شبرمة:" إنَّ الرّجل ليلحن وعليه الخزّ الأدكن فكأنه عليه أخلاقًا، ويعربُ وعليه أخلاق فكأن عليه الخزّ الأدكن"[27].
- وهذا عبد الله بن المبارك يقول:" اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه"[28].
- وروي عن الشعبي رحمه الله أنه قال:" اللحن في الشريف كالجدري في الوجه، والجدري في الوجه خير من اللحن في اللسان"[29].
- ودخل أبو الأسود الدؤلي السوق فرأى أعدالا للتجار مكتوب عليها "لأبو فلان"، فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون!" [30].
- وسمع الأصمعيّ رجلا يدعوا ربه ويقول: يا ذو الجلال والإكرام فقال له: ما اسمك؟ قال: ليث، قال الأصمعي منشدا:

يناجي ربه باللحن ليثٌ لذاك إذا دعاه لا يُجيبُ[31].

- وسمع أعرابي إماما يقرأ (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) بفتح التاء فقال: سبحان الله هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده؟، فقيل له: إنّه لحن وإنّما القراءة: (وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ)، بالضم، فقال: قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إمامًا فإنه ما حرّم الله"[32].

ولم يقتصر اللحن على العام من الناس بل أنَّ هناك صور من لحن الخاصة في القرآن الكريم، فالحجاج بن يوسف الثقفي الذي يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة وأحد الأربعة الذين اشتهروا بالفصاحة وتجنب اللحن يحدثنا الجاحظ (ت255هـ) أنه قد لحن في القرآن، يقول:" روي أبو الحسن أَنَّ الحجاج كان يقرأ (إنَّا من المجرمون منتقمون) [33].

وقال ابن سلام:" أخبرني يونس بن حبيب قال: قال الحجاج لابن يعمر: أتسمعني ألحن؟، قال: الأمير أفصح الناس، قال: عزمت عليك أتسمعني ألحن؟، قال: حرفا، قال: أين؟، قال: في القرآن الكريم، قال ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ

---

[27] - المصدر نفسه، ص13.

[28] - الجاحظ: البيان والتبيين، ص216.

[29] - أبو بكر الشنتريني: تنبيه الألباب، ص121.

[30]- ابن قتيبية: عيون الأخبار، سلسلة تراثنا، دار الكتب المصرية، القاهر، دت،ج2، ص159.

[31] - أبو الحجاج البلوي: ألف باء، عالم الكتب، بيروت، دت، ج1، ص43.

[32] - قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 221.

[33] - الجاحظ: البيان والتبيين، ص218.

وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[34]، قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسي ما ابتدأ به، قال يونس، فقال الحجاج: لا جرم، لا تسمع لي لحنا أبدا، فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب"[35].

التأليف في ظاهرة اللحن عند العرب: عندما اقتضت الحاجة أن يضع علماء العربية القواعد النحوية والصرفية واللغوية، ويألفوا فيها تأليفهم كان التطور اللغوي مستمرا، وأصبح الخروج عن القواعد التي وضعوها أكثر اتضاحا وأشد بروزا، لذلك سار التأليف في التنبيه على الأخطاء اللغوية جنبا إلى جنب مع التأليف في العلوم اللغوية عامة[36]، ولقد سار التدوين في ظاهرة اللحن مع تدوين قواعد اللغة العربية وقوانينها، ومن هذه المؤلفات[37]:

- ✓ ما تلحن فيه العامة للكيسائي ت189هـ.
- ✓ إصلاح المنطق لابن السكيت ت244هـ.
- ✓ أدب الكاتب لابن قتيبة ت276هـ.
- ✓ الفصيح لأبي عباس ثعلب ت291هـ.
- ✓ لحن العامة لأبي بكر الزبيدي ت379هـ.
- ✓ التلويح في شرح الفصيح للهروي ت433هـ.
- ✓ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي ت501هـ.
- ✓ درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ت516هـ.
- ✓ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد ت 521هـ.
- ✓ شرح أدب الكاتب للجواليقي ت539هـ.

---

[34] - قرآن كريم، سورة التوبة،الآية 24

[35] - محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، دار المعارف، القاهرة، دت، ص13.

[36] - يوهان فك: اللغة العربية، ترجمة رمضان عب التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، 1980، ص36

[37] - أنظر: - محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، د ت، ص115.

- السيد يعقوب بكر: نصوص في فقه اللغة العربية، دار النهضة العربي، بيروت، 1976، ج1، ص215.
- محمود سليمان ياقوت: فن الكتابة الصحيحة، دار المعرف الجامعية، القاهرة، 2002هـ، ص25.
- إميل بديع يعقوب: معجم الخطأ والصواب في اللغة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983، ص25.

- ✓ تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ت 540هـ.
- ✓ المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ت577هـ.
- ✓ تقويم اللسان لابن الجوزي ت597هـ.
- ✓ ذيل فصيح ثعلب للبغدادي ت629هـ.
- ✓ الجُمانة في إزالة الرطانة لابن الإمام ت 827هـ.
- ✓ التنبيه على غلط الجاهل والنبيه لابن كمال باشا ت 940هـ.

إن هذه القائمة من مصنفات اللحن عند القدماء تقوم على ركيزتين اثنتين أولهما إيراد كلمات أو صيغ تقولها العامة أو بعض الكتاب فتحكم عليها بأنها لحن أو غلط أو خطأ. وثانيهما ذكر الصواب الذي يجب إحلاله محل الاستعمال الخاطئ ومن الملاحظات على مقاومات هؤلاء العلماء لظاهر اللحن ما يلي:

إن مقاومة العامية كان شديدا في القرن الثاني والثالث والرابع الهجريين، ثم بدأ يقل تدريجيا بعد ذلك، حيث قاوم العلماء بقوة ظاهرة اللحن في الفترة التي كانت اللغة موردا للدراسة، والصلة قريبة بين المادة التي اعتقدوا نقاوتها حين ترد من البادية وبين تنقية الفصحى المستخدمة في الحضر قياسا عليها.

- كان من المفترض أن تعتمد التنقية اللغوي عندهم على استقراء لاستعمال اللغة التي يعاصرها المؤلف والتي تستعمل بين الناس في عصره، لكن الذي حدث لم يكن كذلك بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين فكانوا ينقلون غالبا ما أورده من سبقوهم في كتبهم.
- يلاحظ أنه يقصد بالعوام والعام الناس العاديون بدليل النص أحيانا على الخواص والخاصة، لكن الذي قصدوه بالتنقية اللغوية هو اللغة الفصحى بعد أن أصبحت تستعمل في مستوى خاص و تسرّب إليها لحن العوام.
- تخلوا هذه المصنفات من الحديث عن ظاهرة اللحن فكرة و موضوعا، إذ يتجه الحديث فيها مباشرة . بعد مقدمة قصيرة . إلى إيراد الكلمات وبيان خطأها أو صحتها اعتمادا على النقل في غالب الأحيان كما سبق. ومع نظرة إلى هذه الجهود الطيبة

المخلصة في القائمة السابقة يتساءل المرء، هل نجحت كل هذه الجهود في حل قضية اللحن، وإيقاف تياره المتدفق؟[38].

أسباب ظاهرة اللحن: كان العرب في العصر الجاهلي يتكلمون باللغة العربية مستقيمة في أساليبها، نقية من الشوائب، بعيدة عن اللحن، سليمة من الأخطاء، ينطقون بذلك سليقة وجبلة، ولذلك يقول أحمد بن فارس (ت395ه):" فأما اللحن بسكون الحاء، فإمالة الكلام عن وجهه الصحيح في العربية، يقال: لحن لحنا وهذا عندنا من الكلام المولّد: لأنَّ اللحن محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة"[39]، فما هي الأسباب التي أدت إلى تسرب اللحن والخطأ إلى اللغة العربية؟، إنّ هذه الأسباب حصرها في جملة من العوامل منها:

- اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب والأجناس الأخرى، يقول الزبيدي ت379ه :" لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر الإسلام وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالًا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية"[40].
- اشتغال غير العرب من الأعاجم والموالي بالعلم وانشغال العرب الفاتحين بالسياسة وإدارة الدولة عن العلم وطلبه، يقول ابن خلدون:" من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملّة الإسلامية أكثرهم العجم إلاَّ في القليل النادر، وإن كان فيهم العرب في نسبه فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته"[41].
- تأثر اللغة العربية بغيرها من لغات الأمم المجاورة للعرب وبوسع الباحث أن يعثر على شواهد كثيرة تدل على ذلك كالألفاظ الحبشية والرومي والفارسية وغيرها مما انتقل إلى العربية وجاء بها القرآن الكريم على حسب ما اشتهر بين العلماء.
- إقدام كثير من الرواة على وضع الشعر واختلاقه، وذلك لينالوا مأربا، أو يؤيدوا سياسة، أو ينصروا مذهبا أو مسلاةً ومسامرةً في مجالس الولاة والأمراء.

---

[38]- محمد عيد: المظاهر الطارئة على الفصحى، ص35.

[39] - ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د ط، 1999، مادة لحن

[40] - أبو بكر الزبيدي: لحن العامة، ص34.

[41] - ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1983، ص1056.

- وقوع اللحن من ذوي الشأن كالخلفاء والولاة والعلماء والأدباء لأن هؤلاء قدوة لغيرهم في أمور اللغة وغيرها، وصدور اللحن عنهم سيسيغ لغيرهم أمره، ويفسح صدورهم لقبوله. وقد رويت روايات عديدة في صدور اللحن من هذه الطبق العالية وتجاوز الأمر التخاطب اليومي إلى إنشاء الأشعار، بل إلى قراءة القرآن الكريم، بل كانوا يطلبون إلى من حضر من النحاة أن يلتمسوا للحنهم وجها في العربية.
- تنازع النحاة في المسألة الواحدة ساعد أيضا على انتشار اللحن مما أدى إلى تعدد آرائهم في تخريجها مهما كان نصيب هذه المسألة من الورود أو الصحة اللغوية خاصة بين المصريين والكوفيين وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آيات القرآن الكريم لاختلافهم في القواعد مما أدى إلى شيوع اللحن ما داموا يجدون من علماء اللغة من يصوب الفاسد ويقوي الضعيف.
- نشطت حركة التصحيح اللغوي عند القدماء بفعل التطور اللغوي إذ لم يعد الخروج عن القاعدة اللغوية (اللحن) ناتجا من اختلاط الألسنة غير العربية باللسان العربي يولد أشكالا كثيرة من اللحن لم تكن العربية تعرفها لولا دخول غير العرب تحت الحكم الإسلامي بل كان أيضا ناتجا عن التطور اللغوي الطبيعي للغة العربية[42].

ثمرات أصحاب مصنفات اللحن: لقد كان تراث اللحن عاملا فعالا في الحفاظ على سلامة اللغة العربية الفصحى، فهم وان لم يقضوا على تيار العامية في زمانهم، فقد تمكنوا على الأقل من حفظ لغة القرآن الكريم من الخطأ في تلاوته، وحفظ لغة الأدباء من شعراء وكتاب ويمكن أن نعد أهم ما فعلوه فيما يلي:

- وضع النحو وضوابطه العربية على وجه عام، وكان بدء ذلك على أكثر الروايات على يد أبي الأسود الدؤلي ت69هـ[43].
- ما فعله رجال الدولة من تعريب الدواوين، فقد كانت الدواوين تكتب بلغات مختلفة غير العربية، فلما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة نهض بتعريب الدواوين ثم

---

[42]- أنظر هذه الأسباب في:
- رمضان عبد التواب: لحن العام والتطور اللغوي، طبع القاهرة، 1967، ص30.
- عبد الفتاح سليم: اللحن في اللغة، ص26.

[43] - محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980م، ص40.

بتفويض أمرها إلى العرب أو من تعلم العربية من الأعاجم، فكان عبد الملك خادم العربية وباعث بواعث إحياءها[44].

- بعد فشو اللحن وانتشاره أخذ الخلفاء والأمراء يحرصون على تنشئة أبنائهم على سلامة اللغة وفصاحة الألسن، وكان من أقبح العيب عند العرب أن يسمعوا لحنا من أمثال هؤلاء في كلامهم وخطبهم أو في القرآن والحديث الشريف[45].
- مصاهرة القبائل الفصيحة لينشأ أبنائهم على الفصاحة كما فعل معاوية بن أبي سفيان في الزواج من ميسون الكلبية أم يزيد، لأنَّ هناك فرقًا بين أن ينشأ في حجر أم أعجمية اللسان وأم عربية فصيحة اللسان[46].
- اهتمام الخلفاء والأمراء بعقد المجالس والأسمار والندوات الشعرية مع الأدباء واللغويين والنحاة وأهل العربية على وجه عام[47].
- النقائض الشعرية التي تمثل الحرب الهجائية التي شبت نارها بين الشعراء وبخاصة بين جرير والفرزدق والأخطل، وهذه النقائض تمثل الجوانب المختلفة منها ما كان حسنَا محمودَا، ومنها ما كان شينا مذموما، لكن الأمويين وجدوا فيها جوانب من مدحهم ونشر مآثرهم، والذي يهم اللغة العربية من هذه النقائص انتشارها على الألسنة عند أهل القبائل، كما وجد فيها علماء اللغة والنحو شواهد وأدلة فاستدلوا بها على صحة قواعدهم، واحتجوا بها على سلامة أحكامهم النحوية[48].

منهج مصنفات اللحن:

1. **كتاب ما تلحن فيه العامة للكسائي ت 189هـ:** يعد الكسائي رائد الصواب اللغوي عند العرب فجميع الدراسات اللغوية تجعل كتابه في طليعة مصنفات اللحن، وكتابه هذا لا يخضع لترتيب معيّن فموادّه تُسرد دون أي نوع من الترتيب، فالأرقام (1) حرص و(2) نقم و(5) عجز و(11) عسيت و(17) دمع و(58) نكل عن، كلها مثلا يجمعها أنها

[44] - يوهان فك: اللغة العربية، ص21.
[45] - المرجع نفسه، ص26.
[46] - ابن قتيبية: عيون الأخبار، ص8.
[47] - السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد الحولي وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ص171
[48] - محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ص44.

تعالج الأفعال المفتوحة العين التي كسْرها لحن عند الكسائي، وقد علل الدكتور رمضان عبد التواب غياب الترتيب من كتاب الكسائي بأنه يعد أول تأليف في موضوع اللحن[49]. ويبدأ الكسائي أيّ مادة يعرض لها بقوله:" وتقول العامّة" ثم يذكر الصواب، ولكنه في أحيان أخرى يذكر الصواب دون الخطأ في المادة اللغوية نفسها التي يعرض لها، لذلك لا نعرف كيف كانت العامة تنطق مثل تلك المواد اللغوية، فهو يقول مثلا تحت رقم (08) "وتقول قد اشتريت بطانة جيّدة بكسر الياء"[50]، فلا ندري كيف كانت تنطق العامة بطانة بفتح الباء أو بضمّها.

2. **كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت ت244هـ:** وهذا الكتاب لا يعنى كثيرا بالحديث عن أخطاء العامة بقدر ما يعنى بإثبات الصيغ الفصيحة الصحيحة، غير أنَّ هدف مؤلفه كان إصلاح أخطاء النطق الشائعة في عصره ولذلك سماه "إصلاح المنطق".

اهتم ابن السكيت في بعض الأحيان ببيان اللهجات العربية واختلافها في النطق مثل: "قال أبو عبيدة: تميم من أهل نجد يقولون: نِهي . بكسر النون . للغدير، وغيرهم يقولون نهي . بفتح النون ."[51]. يقول محقق الكتاب: "وهذا الكتاب قد أراد ابن السكيت به أن يعالج داء قد استشرى في لغة العرب والمستعربة، وهو داء اللحن والخطأ في الكلام، فعمد إلى أن يؤلف كتابه ويضّمنهُ أبوابا يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب، وذلك بذكر الألفاظ المتفقة في الوزن الواحد مع اختلاف المعنى، أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى، وما فيه لغتان أو أكثر، وما يعلّ ويصّحح، وما يهمز وما لا يهمز، وما يشدّد، وما تغلط فيه العامّة"[52].

3. **كتاب الفصيح لأبي العباس ثعلب ت291هـ:** سار ثعلب في هذا الكتاب على طريقة ابن السكيت في إيراده الصيغ الصحيحة دون الإشارة إلى الأخطاء فيها، فهو يهدف إلى تقويم اعوجاج الألسنة، وتعويد الناشئة على النطق السليم، وقد سمى كتابه "الفصيح" لأنه لا يعتدّ إلاَّ بالكلام الفصيح، فهو المبتغي أولاً وأخيراً، وقد صدر كتابه بقوله: "هذا كتاب اختيار فصيح الكلام، مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه

---

[49] - الكسائي: ما تلحن فيه العام، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهر، ط1، 1982، ص78.

[50] - الكسائي: ما تلحن فيه العام، ص102.

[51] - ابن السكيت: إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهر، ط4، د ت، ص30.

[52]- المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص12.

لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهنّ، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما"[53]، فهو لا يُعنى إلا بالأفصح رافضا ما عداه لأنه دون ذلك فهو خطأ أو شاذ أو نادر أو قبيح...، وقد خلا الكتاب من ترتيب ينظم مواده في داخل فصوله، فهو يجمع المادة ويضعها في داخل الباب كيفما اتفق، فمن الأمثلة على ذلك إثباته في باب المفتوح أوله من الأسماء، مواده على النحو التالي: فكاك الرهن... حب المحلب... عرق النسا... قص الشاة... الرحى[54].

4. **كتاب لحن العامّة لأبي بكر الزبيدي ت379هـ:** كان الزبيدي أصيلا في جمع مادة أخطائه، وذلك لأنه جمعها من ألسنة الناس في عصره، ولم يفعل ما فعله ابن الجوزي ت597هـ بعده الذي جمع مادته من كتب اللغويين الذين سبقوه، ولم يرتب الزبيدي المواد اللغوية ترتيباً معيناً، وكان يبدأ بذكر الخطأ بقوله:" ويقولون"، ثم يذكر الصواب متوسعا في عرض المادة بالشرح والاستشهاد، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى المقارنة بين ما يقوله أهل بلده في الأندلس وما يقوله أهل المشرق في الموضوع ذاته، فمن ذلك قوله إن أهل بلده يقولون في (القدوم) قادوم، ويجمعونه على قواديم، في حين أن عامة أهل المشرق يقولون: قدُّوم بالتشديد، ويجمعونها على قداديم، وذلك أيضا خطأ"[55]. وتجدر الإشارة إلى أن الزبيدي اهتم بذكر اللهجات القديمة من ذلك قوله:" وزعم بعض اللغويين أن أهل اليمن يقولون: كُلوة بالضم، وذلك مردود"[56].

مقياس التخطئة والتصويب عند القدماء: اختلفت مذاهب العلماء القدماء في مسألة اللحن، فعندما تصدى هؤلاء لما حصل في العربية من لحن رأى بعضهم أن تكون اللغة العربية الفصحى هي العليا، بينما أجاز بعضهم الآخر ما كان يجري على ألسنة الناس، ولهذا انقسم القدماء في قضية معالجة اللحن إلى فريقين:

الأول: ما يمكن تسميته بفريق المتشددين، ومقياس الصواب عندهم هو الأفصح وكل ما عدا ذلك فهو لحن وخطأ، وكان هدفهم جمع الناس على الأكثر ومثّل البصريّون هذا الفريق

[53] - أبو العباس ثعلب: الفصيح، تحقيق صبيح التميمي، دار الشهاب، الجزائر، دت، ص45.
[54] - المصدر نفسه، ص109.
[55]- أبو بكر الزبيدي: لحن العامة، ص101.
[56] - المصدر نفسه، ص79.

إذ كانوا يأخذون بالاعتبار كثير الكلام على أنه هو الأصل، ومن هؤلاء العلماء الأصمعي ت213هـ، وثعلب ت 291هـ والزبيدي ت379هـ. **الثاني:** ما يمكن تسميته بفريق المتساهلين والموسعين ومقياس الصواب عندهم هو كل ما تكلمت به العرب، وما قيس عليه فهو صواب، وكان هَدفُهم جمع الناس على الأكثر، وضبط الاستعمال بالأفصح وكانوا يريدون بذلك أن يثبتوا للناس أن الذين كانوا يلحنون هم قلة من الناس، ومن هؤلاء ابن مكّي الصقلي ت501هـ، ورضي الدين الحنبلي ت971هـ وابن كمال باشا ت940هـ[57].

مظاهر اللحن عند القدماء: واللحن في اللغة له مظاهر كثيرة، فهو يصيبها في الأصوات، والصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية، والخلط في استخدام الألفاظ، وعدم التفريق بين معانيها.

1. **المظهر الصوتي:** وهذا النظام يدرس أصوات اللغة، حيث يحدد علماء الأصوات طبيعة الصوت اللغوي ومصدره، وكيف يحدث، ومواضع نطق الأصوات المختلفة، والصفات النطقية والسمعية المصاحبة لها[58]، ومن مظاهر اللحن الصوتية موضوع التخلص من الهمز وقد أشار إليها معظم علماء التنقية اللغوية في أمثلة كثيرة متنوعة، فالكسائي ت189هـ أشار إلى أنهم يتخلصون من الهمزة أولا في: أحدوثة وأضحية وأرجوحة وأرجوزة وأعجوبة[59]، واتسعت هذه الظاهرة عند عامّة ابن السكيت ت 244هـ حتى عقد لذلك بابا سماه (باب ما يُهمز ممّا تركت العامّة همزه)[60] عرض فيه أمثلة كثيرة ذكرها من بعده ابن قتيبة ت276هـ وأضاف أمثلة أخرى منها: ملاك المرأة في إملاك، وهليلجة في إهليلجة، وهبته في أهبته[61].

والإبدال اللغوي ظاهرة صوتية فاشية في كتب اللحن وأكثر ما كانت بين الحروف المتّفقة في المخرج أو الصيغة، فقد أشار إليها الكسائي بأمثلة منها: (بخست عينه) في بخصتُه و(قس الشاة قسيسها) في قصّ[62]، وأشار إليها أبو العباس ثعلب ت291هـ في (وتوثر وتحمد) بدل

---

[57]- زهدي محمد عيد: نماذج في التطبيق اللغوي، دار صفاء، عمان، ط1، 2011، ص192.

[58] - حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرف الجامعية، القاهر، د ط، 2005، ص39.

[59] - الكسائي: ما لحن فيه العامّة، ص132 . 133

[60] - ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص145.

[61] - ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، د ت، ص284.

[62] - الكسائي: ما تلحن فيه العامّة، ص105.

توفر[63]، وعقد لها ابن السكيت باب (ما يتكلّم فيه بالصاد مما يتكلّم فيه العامة بالسين وما يتكلّم فيه بالسين فيتكلّم فيه العامة بالصاد) [64].

2. **المظهر الصرفي:** وهو دراسة ما يطرأ على الكلمة من زيادات وكذلك التحولات التي تغيّر دلالتها ووظيفتها نتيجة لدخول عناصر لغوية معينة[65]، ومن نماذج اللحن في بنية الكلمات:

- قولهم: دخل في غمار الناس، هذا مما يغلط فيه العامّة، والعرب تقول: دخل في خمار الناس، أي فيما يواريه ويستره منهم حتى لا يبين[66].
- يقولون مقداف السفينة، قال محمد . الزبيدي . والصواب المجداف، ومنه جدف الطائر بجناحه يجدف جُدوفاً، إذا كان مقصوعًا، فرأيته كأنّه يردّ جناحيه إلى خلفه ويدارك الضرب[67].
- قال أبو عمرو: يقال أزللت له زلّةً، ولا يقال زَللتُ، وقد أغلقت الباب فهو مغلق، ولا يقال مغلوق، وقد أقفلتُه فهو مقفل ولا يقال مقفول[68]. فهذه الأمثلة تتعلق ببنية الكلمة العربية وتدخل تحت مباحث علم الصرف، وترتب على ذلك أن الحكم عليها باللحن والخطأ جاء في ضوء القواعد الصرفية، فبعضها يتعلق بالإخلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان (آخر في غمار وخمار) و(مقداف ومجداف)، وواضح أن الخطأ فيهما سببه التطور الصوتي لقرب المخرج بين (الخاء والغين) في (غمار وخمار)، وكذلك بين الجيم والقاف في (مقداف ومجداف)، ويتعلق اللحن في المثال الثالث بالزيادة والتجّرد كما في (أزللت وزللتُ) أو صياغة المشتقات على غير الطريقة المحدد لها في شكل الحروف وكميتها مثل: مغلق ومغلوق، مقفل ومقفول.

3. **المظهر النحوي:** يعدّ النحو لبّ الدراسات اللغوية؛ لأنّه قلب الأنظمة اللغوية ومحصّلتها النهائية، فهو الذي يصل بين الأصوات والدلالات[69]، والخطأ في الإعراب هو أول مظهر

---

[63] - أبو العباس ثعلب: الفصيح، ص175.
[64] - ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص183.
[65]- حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005، ص87.
[66] - المفضل بن سلمة: الفاخر، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص238.
[67] - أبو بكر الزبيدي: لحن العامة، ص81.
[68] - ابن السكيت: إصلاح المنطق، ص227.
[69]- حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، ص108.

من مظاهر اللحن في نشأته الأولى، لذلك يقول أبو الطيب اللغوي ت351هـ:" اعلم أنَّ أوّل ما اختلَ من كلام العرب فأحوج إلى تعلم الإعراب"[70]، ويرى العلماء القدماء أنَّ اللحن في الإعراب يكاد يكون العامل الرئيسي في نشأة علم النحو، ومن نماذج اللحن في التركيب والإعراب:

- "تقول: شكرتُ لك ونصحتُ لك، ولا يقال: شكرتك ونصحتك، وقد نصح لفلان وشكر له، هذا كلام العرب، قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[71]، ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾[72]..."[73].
- ومن اللحن قول العامّة فيه تبارك وتعالى "هذه صفة ذاته، وهو مباين بالذّات"، قال محمد أي الزبيدي:" ولا يجوز أن يلحق الألف واللام (ذو ولا ذات) في حال إفراد ولا تثنية ولا جمع، ولا تُضاف الى المضمرات، وإنّما تقع أبداً مضافة الى الظاهر، ألا ترى أنَك لا تقول (الذّو ولا الذّوان، ولا الذّون، ولا الذّات، ولا الذّوات، ولا ذوك، ولا ذوه، ولا ذوهما، ولا ذوهنّ، ولا ذواتها، ولا تقول: مررت بذاته، ولا بذاتك)، وقد غلط في ذلك أهل الكلام وأكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء"[74].
- ومن اللحن عند الحريري ت516هـ إضافة (بين) إلى المفرد:" يقولون المال بين زيد وبين عمرو، بتكرير لفظة (بين) فيوهمون فيه، والصواب أن يقال: بين زيد وعمرو، كما قال سبحانه وتعالى: {من بين فرث ودم}[75]، والعلّة فيه أنَ لفظة بين تقتضي الاشتراك فلا تدخل إلاَّ على المثنّى أو المجموع، كقوله: المال بينهما، والدار بين الإخوة"[76].

---

[70] - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص14.
[71] - قرآن كريم، سورة البقرة، الآية 152.
[72] - قرآن كريم، سورة هود، الآية34
[73] - الكسائي: ما تلحن فيه العامّة، ص102.
[74] - الزبيدي: لحن العامّة، ص39.
[75] - قرآن كريم، سور النحل، الآية 66.
[76] - الحريري: در الغواص في أوهام الخواص، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996، ص261.

4. **المظهر الدلالي:** يعدّ التطور الدلالي أهم مظهر لهذه الظاهرة وأوسعه انتشاراً ويتمثل في انتقال مدلول المفردة انتقالاً يسمح بظهور وحدات معجمية قديمة بدلالات حديثة، ويمكن أن نرجع التغيرات المختلفة في الدلالات إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي[77]:

أ. **تخصيص الدلالة:** وهو تضييق الدلالة تضييقاً يؤدي الى مخالفة أصل استعمالها الفصيح، أيّ أن يطلق الاسم العامّة على طائفة خاصة تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم فيتخصص مجال المفردة ليصبح مقصوراً على جزء من الكّل، وقد أوردت مصنفات اللحن نماذج كثيرة من التخصيص لكنّها عدّتها لحنا، وبعضها تنبّه إلى حقيقة الظاهرة فوضعها تحت باب " ما جاء لشيئين أو لأشياء فقصروه على واحد"[78]، ومن نماذج التخصيص في كتب اللحن نذكر:

- يقول العامة لضرب من سباع الطّير: صقر، والصقر كل ما يصيد به من سباع الطّير"، فقد تمثل التخصيص هنا في إطلاق الكّل على الجزء، أي جعل الصقر خاصّاً بضرب معيّن من الطيور الجارحة، بدل إطلاقه على جميعها، وهو ما يؤكّده المعجم الوسيط إذ الصقر عنده من جوارح الطّير من الفصيلة الصقرية[79].
- يقولون: ريحان للآس خاصّة دون سائر الرياحين، والريحانُ: كل نبت طيّب الرّيح كالورد والنعنع والثمام، والريحان أيضا الرزق، قال الله: {فروحٌ وريحان}، وقال النمر بن تولب: سلام الإله وريحانه ورحمته وسلام دِرره[80]، ويؤكد المعجم الوسيط هذا التخصيص بقوله: الريحان جنس من النّبات طيّبة الرائحة من الفصيلة الشفوية، وكل نبت طيّب الرائحة، ويقال المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[81].

ب. **تعميم الدلالة:** إنَّ للمفردة عادة مفهوما خاصاً يُعين شيئا خاصاً، ولكن قد يحدث أن يسيطر مفهوم عام على ذلك الخاصّ فيمّر الفكر بغير وعي من هذا المعنى إلى المعنى الآخر، فتتوسع الدلالات توسعا يؤدي إلى مخالفة أصل الدلالة الوضعية.

---

[77] - أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر العربي، دمشق، ط2، 1999، ص330.

[78] - ابن مكي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ص170.

[79] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (صقر)

[80]- الزبيدي: لحن العامّة، ص189.

[81]- مجمع اللغة' العربية: المعجم الوسيط، مادة (ريح).

وقد أوردت كتب لحن العامّة نماذج كثيرة من التعميم الدلالي فعدّتها لحنا، ووضعها البعض تحت باب " ما جاء لواحد فأدخلوا معه غيره".

- ومن ذلك الأتراب، يكون عندهم للذكور والإناث، وليس كذلك إنما الأتراب الإناث خاصّة، لا يقال: زيد تربُ لعمرو، وإنما يقال: زيد قرنُ عمرو، ولدتُهُ[82]، لكن جاء في المعجم الوسيط: التربُ المماثل في السّن، وأكثر ما يستعمل في المؤنث[83].
- يقولون للبيت المُحصّن بلاط، والبلاط الحجارة المفروشة بالأرض، والبلاط الأرض الملساء، والمبلّط: الذي لا شيء له كأنه لزق بالأرض، قال بعض الرجّاز: قالت أراه مبلّطاً لا شيء له، وقال الكسائي: المُبلط: أُبلط الرجل إذا افتقر[84]. وفي الوسيط: البلاط أيضاً: قصر الحاكم وحاشيته[85].

ج . **انتقال الدلالة:** ويتمثل في انتقال مفردات في النظام اللغوي الواحد من حيّز دلالي ما الى حيز دلالي آخر لينوب بعضها بعضاً، ويعكس هذا الانتقال عادة غلبت مفاهيم فكرية جديدة يذكيها نوعا من التأثر الثقافي، وقد أشارت بعض كتب اللحن الى ذلك في باب "ما وضعوه غير موضعه" واعتبرته من لحن العامّة.

- ويقولون للكروم: الدّوالي وللواحدة دالية، وليس هو كذلك وإنّما الدالية: التي تدلوا الماء من البئر والنهر،أي تستخرجه من دلوتُ الدلو، إذا إخرجتها وأدليتها: إذا أرسلتها، والدالية كالدولاب والناعورة ونحو ذلك[86]، ويبدوا أنَّ هذا الانتقال راجع الى علاقة المشابهة بين تدلّي الدلو وتدلي ثمار العنب، لكن ابن هشام اللخمي ت577هـ له رأي آخر لا يعتمد على الانتقال الدلالي، فالدوالي عنده جنس من أعناب أرض العرب[87].
- ويقولون: طعام ذو بنَّةٍ إذا كان ذا طيب ومساغٍ، والبنّةُ: الرائحة الطيّبة، يقال: شراب ذو بنّةٍ إذا كان طيّب الرّيح[88]، وانتقال الدلالة هنا حاصل بسبب تجاور مفهومي الطعم

---

[82] - ابن مكي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص176

[83]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (تراب).

[84] - الزبيدي: لحن العامّة، ص175.

[85] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مادة (بلط)

[86] - ابن مكي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص168

[87] - ابن هشام اللخمي: المدخل الى تقويم اللسان، تحقيق مؤمون بن محي الدين الخيان، دار اكتب العلمي، بيروت، ط11، 1995، ص 39.

[88] - الزبيدي: لحن العامّة، ص206.

والرائحة، وقد ردّ ابن هشام على الزبيدي بقوله: "البنّةُ عند العرب الريح وقد تكون طيّبة وخبيثة"[89]، ولم يذكرها في الوسيط.

الخلاصة: كان الاختلاط بين العرب والأعاجم بعد الفتح الإسلامي سببا ودافعا الى انتشار اللحن وتنوع مظاهره، ثم أخذ ينتشر بمرور الوقت حتى تسرب إلى التلاوة في القرآن الكريم واللحن فيه قد يخل بمقاصد الآيات التي يُلحن فيها ويغيّر من المعنى المقصود من الآية حتى نهض ولاة الأمر وعلماء العربية الغيارى على لغة العرب ولغة التنزيل يعملون بجد على درء خطر العامية والمحافظة على الفصحى، وكان ما فعلوه عاملا فعالا في حفظ القرآن الكريم من الخطأ في تلاوته، وحفظ لغة الكتابة، وشهد العصر العباسي نهضة لغوية ونحوية تمثلت في التنافس بين علماء البصرة وعلماء الكوفة في مسائل اللغة والنحو ونهضوا يؤلفون كتب اللحن التي تجنّب الفصحى شر العامية وتبيّن أخطارها وتنبه على وجوه مخالفة الفصحى في الأصوات والصيغ والتراكيب ودلالة الألفاظ.

[89]- ابن هشام اللخمي: المدخل الى تقويم اللسان، ص69